

# اسمعى يا إيران

بقلم

سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي

الناشر

المجمع الإسلامي العلمي

ص ب ١١٩

ندوة العلماء لکناؤ

# كلمة الناشر

عشرة أيام قضاها سماحة الأستاذ أبي الحسن على الحسنى الندوى رئيس وفد رابطة العالم الإسلامى فى ايران ، بدأت من يوم الاثنين ٩ من جمادى الأولى ١٣٩٣ هـ انتهت يوم الأربعاء ١٨ من جمادى الأولى ١٣٩٣ هـ وجمع فيها مشاهدات دقيقة، وانطباعات جميلة، وملاحظات إيجابية صريحة، وتحدث عن التقريب بين المسلمين، وملاأ الهوة الواسعة بين أهل السنة و الشيعة و عن دعائمها الضرورية واساليبها الطبيعية الصحيحة، وأشار إلى مواضع ضعف تحتاج إلى بناء و إصلاح، و جوانب مريعة تستحق الاعجاب و الثناء و ذلك كله بأسلوب عالم حصيف الفكر، ومؤرخ نزيه القلم، وكاتب مرهف الحس، وداعية ستليم القلب، مشرق الروح، قوى العاطفة.

ولقد خاطب الشيخ مصر حين زارها فقال "إسمعى يا مصر، وزار سوريا فقال "إسمعى يا سوريا، وزار الكويت فقال "إسمعى يا زهرة الصحراء، وتحدث إلى العرب فقال "إسمعوها فسي صريحة أيها العرب" وها هو يتحدث إلى إخواننا الأشقاء في إيران ذلك البلد المسلم العريق فيقول "إسمعى يا إيران،، إبلاغاً للرسالة وإتماماً للحجة وأداءً لأمانة الرسالة، وواجب العلم والدين والدعوة .

ويسر "المجمع الإسلامي العلمي" أن تقدم هذه الرسالة القيمة إلى إيران حكومة وشعباً، وإلى الباحثين عن الحق، المنعطين إلى الحقيقة في العالم الإسلامي أجمع.  
(الناشر)

بسم الله الرحمن الرحيم

## إسمعى يا إيران

كانت زيارة إيران - يونان الشرق ومولد الجم الغفير من نوابغ الإسلام وعباقرته وأئمة الحديث والفقاه وعلوم الحكمة والنحو ، والبلاغة والآداب العربية - أمنية قديمة كانت تراود النفس ، وتعاودها بين حين وآخر ، فقد عشنا في أطرافها وربيعها وحدائقها التي تغنى بها شعراؤها ، وأدبها الخصب وشعرها الرقيق ، وطبيعتها المرححة القلقة التي تجلت في مذاهبها المتطرفة ، وأفكارها الثائرة وفي تصوفها الولوع الحنون الذي كانت لإيران فيه الزعامة في العصر القديم ، ولكن لم تتحقق هذه الأمنية إلا في العهد الأخير، حين قطع ركب الحياة أكثر مراحل السفر وغلب البحث عن الحقيقة على التفنن في الخيال ، ولعل ذلك كان خيراً .

والفضل في هذه الزيارة التاريخية يرجع إلى رابطة العالم الإسلامي كما يرجع في زيارة أفغانستان ، فهي

صاحبة الفكرة في هذه الرحلة ، وكان لصيتها البعيد في العالم الإسلامي ومكانتها المرموقة في نفوس المسلمين لانتسابها إلى مهبط الوحي ومهد الإسلام ومولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، والآمال الكبار التي يعلقها المسلمون بها فضل كبير في نجاح هذه الرحلة وما لقيه أعضاء الوفد من حفاوة بالغة من حكومة إيران المؤقرة والشعب الإيراني المسلم والمنظمات الدينية والعلمية والشخصيات البارزة في هذا البلد الكبير .

وإن كان لرابطة العالم الإسلامي فضل في مشروع هذه الرحلة وتهيئة أسبابها - ولا شك في ذلك - فقد كان لرئاسة مجلس الأوقاف التي يشرف عليها معالي الدكتور منوچهر آزمون نائب رئيس وزراء إيران ورئيس هيئة الأوقاف الفضل الكبير في تيسير هذه الرحلة ووضع مخططها وبرامجها ، فإنه لما علم قصد الوفد لإيران أبي إلا أن ينزل الوفد في ضيافة الحكومة ، وأن تكون رئاسة الأوقاف هي المضيافة الكريمة بالنيابة عنها ، وعنى عناية فائقة بتيسير مهمة الوفد وتمكنه من أداء رسالته ، وأن يحمل عن البلد والشعب فكرة واضحة كاملة وصورة مشرقة زاهية، ويرى الوفد لزاماً عليه ، ومن قبيل الاعتراف بالواقع أن يشكر معاليه على هذه العاطفة الإسلامية النبيلة والأريحية الإيرانية المعروفة .

كانت المدة التي كان الوفد يقضيها في إيران ويزور في خلالها معالمها ، ومظاهر نشاطها الإسلامي وحركتها العلمية ثمانية أيام ، ولكن كاتب هذه السطور الذي رضع بلبان حب الأدب الفارسي ، شأن أبناء الأسر المسلمة قبل نصف قرن ، وعرف "سعدى" و "حافظ" في مقدمة من تعرف بهم من شعراء العالم وأدبائه ، أبدى رغبته في زيارة "شيراز" مدينة الشعر والسحر ، فأجاب معالي الدكتور إلى ذلك بكل سرور ، مضيفاً إليها مدينة "أصفهان" عاصمة الصفويين ومركز الفن الإيراني ، وهكذا صارت هذه المدة عشرة أيام ، بدأت من يوم الاثنين ٩ من جمادي الأولى ١٣٩٣هـ الموافق - ١١ من يونيه (١٩٧٣) م (١) وانتهت بيوم الأربعاء ١٨ من جمادي الأولى ١٣٩٣هـ الموافق - ٢٠ يونيه ١٩٧٣ م ، وكان السفر صباح يوم الخميس ١٨ من جمادي الأولى ١٣٩٣هـ - ٢١ من يونيه ١٩٧٣ م من تهران إلى بيروت في طريقها إلى جدة ، فقد قررنا أن تكون مكة نهاية المطاف في هذه الرحلة .

كانت هذه الأيام العشرة التاريخية التي قضاهم الوفد في إيران حافلة بالزيارات واللقاءات ، والرحلات والتنقلات

(١) و كان من ٢١ من خرداد ١٣٥٢ بالتقويم الإيراني المنتشر في البلاد.

والأحاديث والمحاضرات ، وكان التنزل في ”بارك هوطل“ أحد فنادق العاصمة الكبرى.

وقد زار الوفد خلال هذه الأيام عدداً من الوزراء الكبار ، نخص بالذكر منهم دولة عباس هويدا رئيس الوزراء ومعالي الأستاذ كاظم زاده وزير التعليم العالي، فضلاً عن معالي الدكتور آزمون الذي قابله الوفد عدة مرات مدة إقامته بتهران، وكانت مقابله يوم الثلاثاء صباحاً أول مقابلة تشرف بها الوفد ، وقد جلس معه طويلاً في جو من الاخاء والبساطة و عدم التكلف ، وتشعب الحديث وتناول جوانب إسلامية وعلمية وتاريخية ، وكانت مقابله كذلك هي الأخيرة ، فقد أقام الدكتور حفلة عشاء فاخرة تكريماً لأعضاء الوفد في فندق (هلتن) ليلة الخميس ١٧ من جمادي الأولى حضرها عدد من الوزراء وكثير من العلماء وأعيان البلد ، وكان من بين العلماء الذين زارهم الوفد وجلس إليهم وتداول معهم الحديث في موضوعات دينية وعلمية ، أصحاب السماحة والفضيلة ”آية الله العظمى“ (١) السيد محمد كاظم شريعة مدارى ، و”آية الله العظمى“ الشيخ حبيب الله ميلاني ،

(١) أصحاب الفضيلة العلماء في إيران طبقان ، الطبقة الأولى هم الذين بلغوا الدرجة القصوى في التبحر العلمي والمكانة الدينية يقبلون ”آية الله العظمى“ والذين يلونهم يسمون ”آية الله“

و"آية الله" المرزا محمد خليل كمره آي ، و"آية الله" السيد حسن إمامي إمام مسجد شاه في طهران، والأستاذ الكبير "آية الله" محمد نقى القمى ، ومن الشخصيات العلمية والأساتذة الكبار العلامة وحيدى المشرف على مسجد سببه سالار في طهران والدكتور محمد محمدي عميد كلية الإلهيات وشيخ الاسلام استاذ الفقه الشافعي في كلية الإلهيات، والدكتور عباس المهاجراني رئيس تحرير مجلة "الفكر الإسلامي" العربية الصادرة من طهران ، والدكتور سيد حسين نصر رئيس جامعة آرية مهر في طهران ، والكاتب الإسلامي الطائر الصيت ومؤلف كتب إسلامية قيمة باللغة الانجليزية ، والأستاذ السيد هادي خسروشاهي الكاتب الإسلامي المعروف ورئيس تحرير مجلة "هادي" العربية في دار التبليغ "قم" (١) .

و كان من بين المدن التي زارها الوفد مدينة طهران عاصمة إيران ، ومدينة "قم" المركز العلمي الديني الأكبر في إيران ومشهد المركز الروحي الأكبر ومدينة

---

(١) مع الأسف لم نقابل عدداً كبيراً من الأساتذة الجامعيين والمثقفين بالتقالفة المصرية المندنية لأن الزمن كان زمن الاجازة الصيفية في الجامعات والكليات ولضيق الوقت.



أصفهان التي كانت عاصمة إيران لأطول مدة ، وفي أزهر  
العهود مدينة وفناً ، ومدينة شيراز درة إيران الشعرية  
والأدبية ، وقد تجول الوفد في أحياء هذه المدن القديمة  
والجديدة وشاهدها بنفسية المسلم المستطلع ، وعين المؤرخ  
المعنى بالآثار ، وذوق السائح المتقل في البلاد والأمصار ،  
وكان في مشاهداته هذه إشباع لكل هذه المناحي وقد أعجب  
بالفن الرفيع ، والهندسة البارعة ، والنقش البديع ، والنق  
الرقيق ، والمدنية الزاهية التي بلغت أوجها في عهد  
الصفويين وشاهد المصنوعات الوطنية والتحف الفنية التي  
فاقت فيها إيران .

وكان من بين المشاهد التي زارها الوفد مسجد السيدة  
معصومة أخت الامام على الرضى بن موسى كاظم ، وفيه  
ضريحها الذي يقصده الإيرانيون من أنحاء بعيدة ويغص  
المسجد بهم ، ومشهد الامام على الرضى الذي هو أكبر  
مشهد ومزار في إيران كلها تشد إليه الرجال ويؤمه الزوار  
من أقصى البلاد ولا ينقطع عنه الزائرون ولا تتوقف حركة  
السفر إليه في أي ساعة ليلاً ونهاراً .

ومن المساجد الأثرية التي زرناها مسجد سبه سالار  
في تهران الذي هو آية في الفن والهندسة والنقش والتلوين ،  
ومسجد شاه الذي هو المسجد الجامع في العاصمة ، ومسجد

”كوهر“ في المشهد ومسجد شاه عباس الصفوى ، ومسجد شيخ لطف الله ، ومسجد الجامع ومسجد جهار باغ كلها في أصفهان ، ومسجد وكيل في شيراز .

ومن المؤسسات والمعاهد التي زرناها كلية الالهيات والمعارف الإسلامية في جامعة تهرآن ، ودار التبليغ الإسلامي في مدينة ”قم“ ومركز التقريب بين المذاهب الإسلامية في تهرآن .

أما الندوات والمحافل التي استقبل فيها الوفد ، وتكلم فيها أعضاؤه ، فمنها منزل العلامة شريعة مدارى، ودار التبليغ في ”قم“ وقد عقدت في هذه الدار حفلة تكريم كبيرة للوفد ، ألقى فيها محاضرات وأنشدت قصائد ، ومنزل العلامة حبيب الله ميلاني في مشهد ، ألقى فيه كلمة ترحيب للوفد ، وأجاب عنها عضو الوفد الأستاذ أحمد محمد جمال ، ومنزل العلامة مرزا محمد خليل كمرآى ، أقيمت فيه حفلة تكريم لطيفة ، واستقبل الوفد بهتافات حماسية وكلمات ترحيب رقيقة ، وأنشد نشيد إقبال الطائر الصيت الذي مطلعها ”الهند لنا والعرب لنا“ معرباً بقلم الأستاذ صاوى شعلان المصري ، و مترجماً إلي الفارسية بالشعر ، وتكلم في هذه الحفلة عضو الوفد الأستاذ أحمد محمد جمال وكاتب هذه السطور ، وقد جاء في هذه الرسالة نص الكلمة التي ألقاها كاتب هذه السطور نقلاً من الشريط المسجل مع تنقيح

وتهذيب وزيادة يسيرة ، وزار الوفد مركز دعوة التقريب بين المذاهب الإسلامية، تكلم فيه الأستاذ الكبير آية الله محمد تقي القمي وكاتب هذه السطور، وحضر لفيف من علماء البلد ورجال الثقافة والفكرة .

ومن الآثار التاريخية التي زارها الوفد ضريح شاعر إيران الخالد "فردوسي" صاحب الملحمة الفارسية المعروفة "شاهنامه" التي حامت بها إيران في كل زمان، وإليها ترد الفضل في تخليد أمجادها وإحياء لغتها الفارسية ، وإثارة الشعور القومي ، وقد عنيت حكومة إيران بهذا الضريح عناية عظيمة، وأدت إلى الشاعر العظيم ضريبة الاجلال والاكبار ، وتوجته بأعظم رمز لتخليد الآثار، وقد تجولنا في "طوس" وهي الولاية القديمة الغنية بآثارها ورجالها ، وقد أنجبت نوابغ مثل حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد أبي حامد الغزالي ، والوزير الخير الشهير نظام الملك طوسي رئيس وزراء الامبراطورية السلجوقية ، والشاعر العظيم "فردوسي" والحكيم الكبير نصير الدين الطوسي وغيرهم .

وقد هاجت هناك ذكريات تاريخية وتمتلنا أيامها الزاهرة يوم كانت مدرسة العلم ومربية الجليل ومأوى الفضل وكان طبيعياً، ونحن نمشي في أطلالها وبين عرصاتها إذ ينتقل ذهننا إلى مفخرة الإسلام عبر القرون والأجيال ،

ونابغة النوابع وأحد العقول الإسلامية الكبرى حجة الإسلام وحسنة الأيام ، الإمام أبي حامد الغزالي الذي لم يرزق أحد من بين علماء الإسلام - بعد مؤسس المذاهب المعمول بها في العالم الإسلامي من القبول والشهرة وخلود الآثار العلمية - ما رزق هذا الإمام ، وسألنا عن مسكنه ومدفنه ومركز حركته العلمية التي أخذت من العالم الخراج ، وانحى أمامها السرير والتاج ، فلم يكن الجواب مشجعاً ولا مسلياً ، مشى بنا الدليل في أراض مقفرة ، وأنقاض متراكمة ، ووقف بنا أمام بناء قديم يندب حظه ويشكو قسوة الزمان ، قيل لنا إنها "هارونية" التي كان الخليفة العباسي هارون الرشيد يحبس فيها من تنزل عليه نقمته ، فلا يرى ضوء الشمس بعد ما يدخلها ، وقد وقع بيدنا كتاب ألفه أحد الأساتذة الإيرانيين الدكتور عيسى صديق أحمد أساتذة جامعة تهران وقد أسماه "آرام كاه غزالي" يعني مرقد الغزالي ، فنجد فيه هذه الشائعة وبين أنها أسطورة لا تستند إلى التاريخ ، وقد بحث في هذا الكتاب الصغير عن ضريح الإمام الغزالي وموقعه في طوس ، واحتج بنصوص المستشرقين الأوربيين ، في مقدمتهم البروفيسور بوب الأميركي (POPE) والدكتور زويمر (Zwerner) ومن المؤرخين المسلمين تاج الدين السبكي من المتقدمين ، وآقاي على أصغر حكمت من المتأخرين ، ووصل بكل ذلك إلى نتيجة أن قبر الغزالي بجوار هذه

البنية العتيقة الأسطورية ، وحدانا الذوق التاريخي والاشتغال بآثار الغزالي والانتفاع بها إلى قبره ، فرأينا ضريحاً قد جدد حديثاً يقع عن يساره هذه البنية إذا استقبلها الواقف ، ولا كتابة عليه ولا لوحة وأخبرنا أن اللوحة لا تزال في جوف البناء ورأيناها فعلاً ، وقد انطمست كتابتها فلا نقرأ إلا بعض الكلمات بصعوبة ، وقد وقفنا خاشعين أمام عظمة الله تعالى ، وآمنا بأنه هو الحي الدائم وقرأنا قوله تعالى «كل من عليها فان»، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاکرام» .

ومن هذه الآثار التاريخية ضريح نادر شاه أفشار الذي غزا الهند في سنة ١٧٣٩م وفتح دهلي ، ووضع السيف في أهلها فما رفعه إلا بعد أن سالت دماء المسلمين غزيرة في شوارع دهلي، وأدخل الذعر والخوف في قلوب أهل البلاد ، وطأطأ أمامه رأس الملك المغولي (حفيد الامبراطور أورنك زيب عالمكير) محمد شاه، واستولى على عرش الطاؤوس الذي صنعه شاهجهان، وكان مرصعاً بالجواهر الكريمة فأخذه إلى إيران ، وكان لا شك من أكبر القادة العسكريين الذين نبغوا في أوائل القرن الثاني الهجري ، وقد عنيت مصلحة الآثار القديمة بإبراز هذا الأثر التاريخي ، وأحاطته بالكتابات والصور التي تلقى ضوءاً على عصامية هذا القائد ومغامراته ، وقد قصدت أحد متاحف تهران، وهو

”كاخ كلستان“ شوقاً إلى مشاهدة عرش الطاوس ، وتحكم في الطبيعة الهندية ، والنوق التاريخي ، فعرفنا أنه جزئ وقطع وأودعت الجواهر النفيسة في بعض البنوك أو المتاحف الأثرية ، وصنع سرير آخر تقليداً له يحاكيه في الهندسة ولم نعلق عليه أهمية .

ولم نعرف أثراً لضريح الخليفة هارون الرشيد الذي نوى اسمه في الآفاق ، ونال من الشهرة حظاً لم ينله ملك من ملوك المسلمين أو من ملوك الشرق ، والذي قال لقطعة من سحاب مرت على رأسه : ”أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك“ وقد أحاطت به هالة من الأساطير والروايات لم تحط بشخصية أخرى ، ومن الثابت في التاريخ أنه دفن في طوس ، ولا يستبعد أن يكون قبره بجوار سيدنا علي الرضا (١) ، ولكنه أصبح مغموراً مطموراً بجانب شخصيته الدينية وما تدين لها إيران من تعظيم وتقديس .

---

(١) كانت وفاة الرشيد سنة ١٩٣هـ بطوس ودفن بها ، وتوفي سيدنا علي الرضا سنة ٢٠٣هـ بمدينة طوس كذلك ، قال ابن خلكان : ”وصلى عليه المأمون ودفنه ملاصق قبر أبيه الرشيد“ واختلف في سبب موته قليل : إنه كان موتاً طبيعياً وقيل بل كان مسموماً ، سمه بنو العباس لأن المأمون عهد إليه بالخلافة ، أقرأ التفصيل في كتب التاريخ ، واشتهر طوس بالمشهد سبب دفنه ، لعل ذلك في أيام الصفويين وهذه المنطقة كلها كانت تسمى خراسان ولا يزال هذا الاسم باقياً في

هذا العصر

وفاتنا أن نزور نيشابور عاصمة السلاجقة والمدينة العلمية التاريخية العظيمة التي نهض منها علماء كبار وشعراء مفلقون ، وفيها قبر الشاعر المشهور عمر خيام وخاجا فريد الدين عطار الشاعر الصوفي ، وهي تبعد من أصفهان مائة وثلاثين كيلو متراً ولم يتسع وقتا لزيارته وزرنا شيراز التي دخل اسمها في أدبنا الهندي وفي أمثال لغتنا، وكان مثلنا ومثلها كما قال بشار بن برد :

والأنن تعشق قبل العين أحياناً

وبدأنا بزيارة قبر الشيخ مصلح الدين سعدى صاحب الحديقتين الزاهرتين الخالدين "كلستان وبوستان (١)" وحضرتنا ونحن واقفون على قبره بعض أبياته التي تمنى فيها دعاء رجل تهيجه عاطفة الحنان والرحمة فيدعوه له ودعونا دعوة من نهل من موارده واقتطف من زهوره ، ثم زرنا قبر خاجا حافظ من أكبر شعراء الحب والحنان ، والعاطفة والوجدان ، في عصره وبعد عصره.

وزرنا "تخت جمشيد" الذي هو من أقدم الآثار التاريخية في إيران وهي عاصمة "دارا" الأول ، يرجع تاريخها إلى ألفين وخمس مائة سنة ، وكانت قاعدة ملك كبير ومركز حضارة من أرقى حضارات العالم القديم، وقد تجلى فيها الفن المعماري والهندسة البنائية وطريقة نقل الحجارة

(١) معناهما الروضة والحديقة .

الضخمة الهائلة إلي الهضاب والمرتفعات ، وبناء العمد الشامخة ، في أروع مظاهرها ، يذكر السائح بأهرام مصر وقدرة المصريين القدماء على الحجارة وتركيب بعضها ببعض ، وقد عقدت حكومة إيران في هذه المكان العام الماضي مهرجانا بمناسبة مرور الفين وخمس مائة سنة على الامبراطورية الإيرانية ، حضره رؤساء الجمهوريات وملوك العالم ووزراء الدول وممثلو البلاد ، وأنفقت عليه الملايين من النقود ، وتفاصيل هذا المهرجان لا تقل عن أساطير ألف ليلة وليلة في الغرابة ، والمحل يبعد عن شیراز بستين كيلو متراً تقريباً

وقد ملكتني دهشة وأنا أجول في أطلال هذه المدينة البائدة فاستغرقت فيها ، وهي كيف استطاع العرب ورعاء الشاء والغنم وسكان الوبر والمدر أن يفتحوا هذه البلاد العريقة في المدنية ، والغنية في الحضارة والعلم ، التي كانت هذه المدينة بعض آثارها ، والتي توارثت الملك والمدنية منذ آلاف من السنين وبلغت بهما شأواً بعيداً لا يتصوره العقل ، وكان الجواب ، قوة الإيمان والدعوة ، وفضل تعاليم الإسلام ، والبعد عن أدواء المدنية المصطنعة ، وحياة الرقة والنعومة

وقبل أن أختم هذه الكلمة عن الاعتراف بفضل الشخصيات البارزة وذكر المشاهدات واللقاءات ذات الخطر



والشأن، أرى حقاً على وعلى الوفد أن أتوه بمرافقتنا الفاضل الذي اختارته رئاسة الأوقاف ، ليكون مساعدنا في هذه الرحلة ، ودليلنا في زيارة المعالم ولقاء الأعلام ، فقد أثبت جدارته وحسن اختيار معالي الدكتور أزمون ، وهو الدكتور أبو القاسم مشيرى مدير الأوقاف العام في تهران ، وكان خير مرافق ، وخير صديق ، وخير زميل ، في هذه الرحلة ، وسعيد من يجد مثل هذا المرافق وهذا الدليل ، في رحلة يقوم بها في بلد جديد ، ونشكر كذلك سفارة المملكة العربية السعودية وسفيرها المؤقر سعادة الأستاذ عرب هاشم على عنايته بتيسير مهمة الوفد والاحتفاء به ، وقد عقد سعادة السفير في منزله حفلة تكريم ومأدبة حضرها كبار العلماء وبعض الوزراء وأعيان البلد .

هذا استعراض مجمل لهذه الجولة التي كان لها صدى في القلوب والنفوس ، وحديث في المجالس والمحافل ، ولم تغفل الإذاعة والتلفزيون أن تلعب دورها في الإشادة بهذه الجولة ، التي كانت جديدة في نوعها ، ذات أهمية في نتائجها وآثارها ، ويستطيع القارئ المعنى بالرحلات والجولات أن يأخذ عنه صورة مجملة ، وفكرة عمومية عن طبيعة هذه لرحلة ، وقيمتها التاريخية والأثرية والاجتماعية والعلمية .

ونريد بعد ما انتهينا من هذه المرحلة التي لا بد منها ، ن نورد هنا بعض انطباعاتنا وملاحظاتنا في هذه الجولة ،

التي لم تكن سياحة في بلد شرقي إسلامي فحسب ، ولا زيارة تحية ومجاملة ، وإنما كانت أبعد مدى وأعمق أثراً من الرحلات التاريخية ، والزيارات الأثرية ، وتبادل التحية بالتحية ، وهنا نضطر إلى أن نسجل الجوانب المشرقة التي تفتح مجالاً واسعاً للأمال والأعمال ، وتبعث على السرور والتفاؤل ، ونسجل جوانب تثير الاستغراب ، وتطلب - إلى حد ما - سعة نظر ورحابة صدر ، وثقة بإخلاص القائل ، وحسن قصده ، ولا شك أن إخواننا الفضلاء في إيران متحلون بهذه الأخلاق العالية ، والسجايا الكريمة ، وأنهم يرحبون بهذه الصراحة ، وقد لمسنا آثارها في الأيام التي عشناها بينهم .

١- إن أول شيء بهرنا وأثار فينا الاستغراب مع الإعجاب ، والخيرة مع المسرة ، هي قوة العاطفة الإسلامية ، وشدة رغبة إخواننا الإيرانيين على اختلاف طبقاتهم وثقافتهم في الوحدة الإسلامية ، والالتقاء على صعيد واحد من جوهر الإسلام ومبادئه الأولية ، واعتراف هنا أننا لم نكن نتوقع هذه الموجة القوية من حب الوحدة ، ومديد الأخوة والصدقة إلى سائر المسلمين في العالم ، وتكوين جبهة مؤحدة ضد اللادينية التي تتحدى جميع الأديان ، وجميع القيم الخلقية ، والتي لا تميز بين سني وشيعي ، وحنفي وشافعي ، ومحافظ ومتجدد ، ومقلد ومجتهد ، إنه كان فاتحة الحديث وخاتمته في المجالس ، والهتاف الصارخ في الندوات

والحفلات ، والرغبة الجامحة في النفوس والقلوب ، ولا شك أنها ظاهرة طيبة مباركة ، ويجب على جميع المعنيين بقضية الإسلام والمسلمين أن يستثمروها ، ويستخدموها في صالح الإسلام، الذي جنت عليه المغالاة ، وتخطى الحدود في الاختلاف جنابة كبيرة ، والذي جر في منتصف القرن السابع الهجري على بغداد - مركز الخلافة وعاصمة الإسلام - الشقاء الأكبر ، وكان سبب كارثة قلما يوجد لها نظير في التاريخ (١) ، ومنع العثمانيين أن يفتحوا أوروبا ، ويتوغلوا فيها إلى أقصى حد ، وأضعف الحكم الإسلامي في الهند ثم انتهى به إلى الانقراض التام .

٢- والشئ الثاني ما لمسناه في هذه الزيارة من عناية زائدة بالآثار الإسلامية ، والتأليف في اللغة العربية ، وإحياء التراث الإسلامي ، ونشر آثار علماء الإسلام والاعتناء الزائد بالمصاحف الأثرية ، وتحليلها وتزيينها ، ومما يدل على التقدير والإجلال والاحترام والاهتمام ، وقراءة القرآن - وأكثره من صوت القراء المصريين المسجل - في المشاهد والحفلات واحترامها ، وذلك يدل على الإيمان

(١) اقرأ رثاء مصلح الدين سعدي الشاعر الإيراني على هذا الحادث ، وقصيدته الحزينة الدامية على نكبة المسلمين في ديوان شعره ، والذي مطلعها :

آسمان راحق بود كرخون ببارد بر زمين  
زوال امر مستعصم أمير المؤمنين

وإجلال القرآن .

٣- ومنها الغيرة الدينية ومحاربة الحركات الهدامة الثائرة على الإسلام ، وفي مقدمتها البهائية التي منعت في إيران منعاً قانونياً ، واعتبر معتقوها مارقين من الإسلام ، مع أنها ديانة ولدت في إيران ونشأت فيها ، وكذلك كراهة علماء إيران للديانة القاديانية ومحاربتهم لها ، إلى ذلك عدائهم للإلحاد وللشيوعية في بلادهم ، وهذه الغيرة جدية بأن يغتبط عليها ، وتقلد إيران فيها الأقطار الإسلامية الأخرى ، وخاصة باكستان التي بينها وبين إيران صلات الصداقة متينة .

٤- ومنها دماثة الخلق ورقة العاطفة وكرم الضيافة والتواضع الزائد الذي يلقاه به المسلم الإيراني أخاه الوفد من بلاد الإسلام، وإشعاره بأنه بين إخوانه وأحبابه وفي بلده ، وكنا لا ننزل في بلد إلا ويستقبلنا رجال الحكومة وأعيان البلد وعلماءه الكبار ، وقد رأينا كبار المسؤولين وبعض العلماء المشهورين واقفين على حافة الطريق في الشمس لاستقبالنا ، ونحن متوجهون إلى قم ، وقد تأخرنا في الوصول ، هذا ما شهدناه ولمسناه في هذه الزيارة القصيرة .

أما الجوانب التي نريد أن نلفت إليها نظر إخواننا الإيرانيين وخاصة العلماء الأفاضل والموجهين والقادة فهي كما يلي :

١- من المعلوم أن المقصود الحقيقي من إرسال الرسل،

وإنزال الكتب بل من خلق السموات والأرض وخلق الإنسان ، هو عبادة الله وحده ، بجميع ماتحتوى عليه هذه الكلمة البليغة المعجزة، من معاني الحب والطاعة ، والخضوع والخشوع ، والإخبات والإنابة ، والالتجاء والافتقار ، وإنما جاءت الرسل - صلوات الله عليهم أجمعين - ليربطوا الخلق بالخالق قلباً وقالباً ، ويأخذوا بنواصيهم ويطأطأوا رؤوسهم على عتبة عبوديته ، وتلك غاية أمانتهم ومنتهى سعادتهم ونجاحهم، وفيها نعيم قلوبهم ولذة روحهم، ولم يأتوا ليشغلوا العباد بنفوسهم ويقفوا حاجزاً بينهم وبين ربهم ، إنهم لم يأتوا لاستعباد الإنسان للإنسان ، أو لأسرة أو بيت ، أو سلالة أو عرق ، أو دم ، وإن كانت هي أسرتهم وبيتهم وأبناءهم ، إن طبيعة تقديس الدماء والعروق ، والسلالات والأجيال ، وتأسيس الدول الكبيرة ، وإنشاء السيادات والزعامات للأبناء والأحفاد ، وتأمين مصالحهم ومركزهم في المستقبل ، ودعوة الناس إلى تمجيدهم وتقديسهم ، والتغني الدائم بامتيازاتهم ، وبكونهم فوق البشر أو مستوى العامة ، طبيعة تليق بالملوك الفاتحين والقادة الطامحين ، وطلاب الدنيا وعباد المادة ، قد عرفت في تاريخ الحكومات ، وفي تاريخ الأسر والبيوتات في الزمن القديم ، ولا تليق بالأنبياء والمرسلين ، ولا أبلغ من قوله تعالى : ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم

يقول للناس : كونوا عباداً لي من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ، ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً ، أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون(١) .

ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم حذراً شديداً الحذر من كل ما يشغل الناس بالناس ، أو يقف حاجزاً بين العبد وربّه، أو يوجه عاطفة العبودية والإنابة ، أو التقديس والتمجيد إلى غير الله تعالى ، شخصاً كان أو أثراً أو معبداً أو مشهداً فقد صح أنه قال : ”اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد (٢) ، وقال : ”لعنة الله على اليهود و النصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا “ (٣) ، وقال : ”لا تجعلوا قبري عيداً “ (٤) ، والأحاديث في ذلك كثيرة .

(١) آل عمران الآية ٧٩ - ٨٠

(٢) رواه مالك مرسلاً في المؤطا عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، ورواه البزاز

عن زيد عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً

(٣) حديث متفق عليه

(٤) رواه أبو داود عن أبي هريرة وهو مروى بلفظ ”لا تتخذوا قبري عيداً“ برواية

أهل البيت عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم وعن الحسن بن الحسن عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، روى الأول في المختارة وروى الثاني سعيد بن منصور في سننه ،

والعيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائداً إما بغود السنة أو

الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك

وذلك كله مخافة أن تتعلق القلوب وتتجه النفوس إلى غير الله ، وينشأ وينمو ذلك على حساب الإقبال على الله تعالى والإجابة إليه ، وعلى حساب البيوت التي ﴿ أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ وقد أثبتت تجربة الأمم السابقة أنه ما فتنت أمة بالمشاهد و الضرائح والآثار والأعياد ، إلا شغلت عن المناسك والمساجد ، وإقامة الجماعات فيها ، والعكوف عليها والفرع إليها وإلى الصلاة إذا حزبه أمر أو نزل بها حدث (١)

وقد لا حظنا مدة إقامتنا القصيرة في إيران أن المشاهد أكثر عمراناً وازدحاماً ، والنفوس أعلق بها من المساجد ، فإذا دخل غريب في مشهد سيدنا على الرضا لم يشعر إلا وأنه داخل في الحرم ، وهو غاص بالحجيج، مدوي بالبكاء والضجيج مكتظ بالرجال والنساء، مزخرف بأقفر الزخارف والزينات ، قد تدفقت إليه ثروة الأثرياء وأموال الأغنياء وتبرعات المتوسطين والفقراء ، فلا يكاد يفرق بينه وبين الحرم المكي والمسجد النبوي ، ويرى أقل من ذلك في مدفن السيدة معصومة بقم.

أما المساجد - وإيران من أغنى بلاد الله في كثرتها

(١) روى عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

وسعتها وفخامتها وبعض مساجدها لا يوجد لها نظير في الأقطار الإسلامية - فلا يري فيها هذا الزحام-، وهذا الحماس الديني والاندياع العاطفي ، بل إن كثيراً منها تشكو قلة المصلين وزهد القاصدين ، هذا مع علمنا بما في المذهب الجعفري من أحكام خاصة عن الجمع بين الصلاتين وشروط الامام الدقيقة ، فقد كان من الممكن أن تكون المساجد والجوامع رغم ذلك أكثر حظاً من العمارة والحيوية والأنس والتلاوة، والذكر مما هي الآن ، ولا شك أن علماء إيران الأفاضل وأهل الغيرة الدينية يولون هذه النقطة اهتمامهم الخاص حتى لا يسوغ لزائر أن يشعر بهذا الفرق الواسع بين المساجد والمشاهد (١)

(١) ومن قبيل الاعتراف بالواقع والشهادة بالحق ، أن فتنة الضرائح والمشاهد وشد الرحال إليها من أنحاء بعيدة والاجتماع عليها سنوياً مما يخاف منه أن يدخل تحت نهى "لا تتخذوا قبور عباداً" والأعمال الشركية منتشرة عند جهلاء أهل السنة في مصر وفي شبه القارة الهندية ، لا يمكن إنكارها ، ولكن مما لا شك فيه أن علماء أهل السنة الراسخين في العلم ، والمبينين للحق لم يزالوا من عهد السلف إلى عهد الخلف ينكرون على ذلك أشد الإنكار ، ويحذرون الناس منه أعظم تحذير، ويتعرضون لمسخط العامة ولا يخافون في الله لومة لائم، ولم يخل من هؤلاء المصلحين قرن من القرون ولا بلد من بلاد الإسلام ، ولا يزال العلماء قاتمين بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى التوحيد ، من غير مداينة ومحاباة ، وكتب المذاهب الأربعة مملوءة بالإنكار على منكرات القبور وبدعها ، فهل وجد في اخواننا الشيعة دعاة و مصلحون ينكرون علي الغلو في المشاهد والضرائح ويدعون الناس إلى الدين الخالص ؟ إن علمنا بتاريخ الإصلاح والتجديد لعلماء الشيعة ضئيل ، فننتظر من إخواننا الأفاضل الإفادة في هذا الموضوع



ومن آثار هذا الهيام - الذي تخطى الحدود - بكل ما يتصل بأئمة أهل البيت انتشار صورهم ، بل وجود صورة النبي ﷺ وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب بكثرة في سالار وفي بعض المساجد والبيوت ، ولا شك أن ذلك من باب الذرائع الي الشرك وقد تورطت الأمم السابقة بتصوير الصالحين والعباد منهم في الشرك الجلي وعبادة الأصنام والتماثيل ، أعاذ الله الأمة الإسلامية وحماها من هذا الخطر الكبير (١)

٢- إننا شعرنا في كل مجتمع ينتمي إلى الطريقة الامامية أن الصلة العاطفية ، والحماس الداخلي في حب أهل البيت ، وتعظيم الأئمة - الذين كانوا أئمة الهدى ومصايح الدجى ولا يشك في ذلك مسلم - كاد يشغل كل فراغ في النفس والعاطفة والعقل والضمير ، ونخشى أن يكون قد أخذ الشيء الكثير من حق النبوة التي هي مصدر كل خير وسعادة ومن شخصية الرسول الأعظم الذي نال به أهل البيت الشرف ، واستحقوا الحب والتعظيم ، وإنه نما وازدهر على حساب

(١) في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال "أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله ، وذكر ابن هشام في سيرته أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ورأى إبراهيم عليه السلام مضوراً في يده الأرزلام إلى أن قال : ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست" (ابن هشام الجزء الرابع ص: ٤١٣)

الصلة العميقة التي يجب أن تكون بين المسلم وبين نبيه ﷺ .  
وقد ظهر ذلك الأثر في الشعر الذي قاله شعراء  
إيران في مدح النبي ﷺ ، وفيما قالوه في مناقب أهل البيت ،  
وخاصة في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ،  
وسيدنا حسين بن علي ، فيفوق الثاني الأول في قوة العاطفة  
والتعبير عن القلب ، والقدرة الشعرية ، وفيض الخاطر  
وتدفق القريحة ، لمسنا هذا الفرق في الشعر الذي قاله شعراء  
أردو في الهند من إخواننا الجعفريين ، والشعر الذي قالوه في  
المديح النبوي ، ولمسناه في الشعر الفارسي ، ورأينا هذا  
الفرق في الكتب التي ألّفت في السيرة النبوية وفي مناقب أهل  
البيت كما وكيفاً ، ورأيناه في الفرق الواسع بين العناية  
بالمشاهد ، والعناية بالمساجد ، وبين الشوق إلى السفر إلى  
النجف وكربلا ”والعتبات العاليات“ والسفر إلى الحرمين  
الشريفيين (١).

إنني أعترف بأنه لا يخلو من رد فعل لما وقع من  
بعض علماء أهل السنة ، والمتحمسين من هذه الفرقة من  
التقصير في التتويه بفضل أهل البيت وما لهم من حقوق على  
المسلمين ، ولكنه أكثر من ذلك ، وعلى كل فقد اتجه تيار

(١) ولا شك أن هناك تغيراً ملموساً في العناية بأداء فريضة الحج عند إخواننا  
الشيعة خصوصاً في إيران ، فقد تضخم عدد القاصدين في الحج من إيران في  
الأعوام الأخيرة ، ولا يزال في ازدياد ونمو ، وهذا فضلاً عن تنظيم حركة الحج  
الذي فاق فيه إخواننا الإيرانيون على أكثر البلاد الإسلامية

الحب و الحماسة الدينية ، والعاطفة الفياضة إلى هذا المركز الروحي ، وأحاطت به هالات التقديس ، وأهملت عليه نعوت وصفات ، أخشى أن تكون قد جعلت الإمامة منافسة للنبوة أو مشاركة لها في كثير من الصفات ، واندفع بذلك تيار الحياة كلها إلى مركز يبدو وينمو بجوار المركز الأصيل الذي هو نبوة خاتم النبيين ، وأشرف الأنبياء والمرسلين ، وأثر ذلك في الأدب والشعر والتفكير والعمل ، ولا نريد أن نطيل في ذلك ، فإذا تلمس إخواننا المنصفون قلوبهم وخفقاتها واستجابتها وانفعالاتها ، رأوا أن هذه الملاحظة إن لم تكن ما يوافقون عليه مائة في المائة ، فإنها تدعوهم إلى التفكير من جديد ، ولا شك أن أئمة أهل البيت كانوا خلفاء الرسول من غير نزاع في الدعوة إلى التوحيد والدين الخالص ، أعداء لما يصرف الناس عن الله وشغلهم بغيره ، أشد الناس غيرة على الدين ، الذي جاء به جدهم وسيدهم ونبيهم ﷺ ، فهم لا يرتضون شيئاً يضعف صلة العبد بالرب ، ويشغل أحداً من الخلق بالخلق ، هذا ثابت بالبداية وما تواتر عنهم من الغيرة على الإسلام والزهد في الدنيا ، والعزوف عن كل مظاهر العظمة الزائفة ، وما استفاض عنهم من الفرار عن الخلق إلى الحق ، والاشتغال بنشر العلم النافع والدعوة إلى الله .

ولا بد للتقريب بين المسلمين وملء الهوة الشاسعة الواقعة بين أهل السنة والشيعة ، أن يوجه هذا التيار إلى النبوة التي هي ملتقى كل مسلم ، والشخصية التي نبعت منها هذه العيون الدافقة ، وخرجت هذه الخيوط الذهبية التي أضاعت العالم كله ، إنه عمل تجديدي عظيم يحتاج إلى عمالقة في العالم والفكر ، وقوة الإرادة وعلو الهمة والعلم

الراسخ والفكر الثاقب، إنه إذا تم هذا العمل أحدث انقلاباً لا يوجد له نظير في تاريخ الانقلابات الفكرية والتجديد الإسلامي وهو الأساس السليم المتين الذي تقوم عليه الوحدة الإسلامية الفطرية الحقيقية .

٣- يجب أن يتغير نظر إخواننا الجعفريين-إذا أرادوا التقريب بين المذاهب وجمع شمل المسلمين وتصافي القلوب - إلى صحابة الرسول ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين ، فلا يقوم تقارب حقيقي إلا بالاحترام المتبادل للشخصيات الحبيبة المحترمة بين الأشخاص أو الفئات ، ولا يعقل أن يتواد اثنان ويتصافيا ويتعاونوا على عمل بإخلاص وحماس ، وأحدهما يذكر من يعتقد فيه صاحبه الخير والفضل ، أو يدين له بحب وولاء بسوء ، وينسب إليه الطامات ويتقرب إلى الله بالذم والتشنيع عليه ، وكلنا جرب ذلك ، وذاق مرارته ولذعه في حق آبائه وأساتذته وشيوخه ، فكيف بمن يراهم الإنسان أفضل من آبائه وشيوخه وأساتذته، ويفديهم بمهجته وروحه ، ويرى لهم الفضل في نصره نبيه ، ونشر الإسلام إلى أقصى حدود العالم، والجهد في سبيله وحسن البلاء في الدعوة إلى الله، والزهد في الدنيا والتكشف في الحياة ، والإيثار على النفس .

وبصرف النظر عن هذا الجانب العاطفي ، فإن لهذا الموضوع قيمة علمية وأهمية دعوية ، فقد اعتاد الناس في كل زمان أن يقيسوا صدق الدعوة ، وفضل التعاليم التي يدعى إليها بكثرة ما أبرزته هذه الدعوة من نماذج رائعة ، وأمثلة كاملة ، وبفضل ذلك الرعيل الذي ربته هذه الدعوة ، وأنشأته هذه التعاليم ، وبقدر النجاح الذي لقيه صاحب الدعوة في دعوته وتربيته ، وهذا هو مقياس المعلمين والمربين

والقادة والموجهين والحقاق في الصناعات والمهريين في كل عصر فإذا كان نتائجهم كثيراً ونجاحهم كبيراً في تخريجهم وتربيتهم ، سلمت مهارتهم في فنونهم واختصاصاتهم ، وسلمت لهم الزعامة والامامة والتفوق والتقدم ، وإذا كان نتائجهم ضئيلاً ونجاحهم قليلاً ، أو ضاعت جهودهم في تلاميذهم وخريجيتهم في وقت قريب ، وأحبطوا مساعي أساتذتهم بعد أن فارقوا الدنيا ، وزال أثر تربيتهم سريعاً ، اعتبر هؤلاء الأساتذة والمربون فاشلين في مهمتهم ، مخفقين في تربيتهم ، وذلك يضاعف تأثير الدعوة وقيمتها إلى هذه التعاليم ، وإلى الإيمان بعظمة هذا الداعي أو المربي وعبقريته ، ويقف حاجزاً بين هذه الدعوة وبين دخول الناس فيها والثقة بها ، ولهم أن يتساعلوا ، ما أملنا في هذه الدعوة وتأثيرها وتزكيتها للنفوس والوصول بها من حضيض الحيوانية إلى نزوة الإنسانية ، ولم تحدث هذه الدعوة على يد داعيها الأكبر ، وفي زمن أوجها أثراً عميقاً خالداً ، ولم يثبت من آمن بها أوفياء لها في عصرها الأول ، ولم يبق على هذه الجادة التي تركهم عليها نبيهم إلا بضعة رجال ، فمن مطلب الدعوة الإسلامية ، ومن الإنصاف لشخصية الرسول ﷺ وسيرته وتاريخه ، وإنارة لها في عيون الناقدين أن نعرف للصحابة فضلهم ونثبت عظمتهم وإخلاصهم ووفاءهم وتوادمهم وتناصرهم على الحق ، وأن ما روى عنهم من هتات أو زلات فهي كنقطة سوداء في ملاءة بيضاء ، وهذا ما يقرره القرآن وتقرره الأحاديث المستفيضة ، والتاريخ الموثوق به ، ويقرره المنطق المستقيم ، والعقل السليم ، وقد مدح القرآن الكريم من نهج هذا المنهج في سلفه الصالح ، وفي السابقين الأولين فقال (والذين جاؤا من بعدهم يقولون

ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم ، وقد عرفت الأمم السابقة بحب حوارى رسلهم وأصحابهم ، وإيثارهم على غيرهم ، فاعتقدت أنهم كانوا خيار خلق الله ؛ ونحن أولى بذلك منها جميعاً ، فكان نبينا أعظم منهم نجاحاً ، وأكثر منهم تأثيراً بتصريح من القرآن ، وقد قال الله تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ وقال : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيداً ﴾ .

إننا إذا أردنا التقريب بين المذاهب حقاً، وكنا جادين في ذلك وجب أن يكون ذلك على أساس سليم فطرى ، وكل محاولة لهذا التقريب من غير هذا التغيير النفسى محاولة غير ناجحة وغير طبيعية ، إنني قلت في مجلس الأستاذ الكبير العلامة محمد تقى القمى الذى يدعو إلى هذا التقريب منذ ثلاثين سنة أو أكثر ”إن التصفيق - كما يقول المثل العامى عندنا في الهند - لا يكون بيد واحدة ، إنه لا يكون إلا بيدين مخلصتين عازمتين جادتين ، وإذا كان في إحداهما تراخ أو استرخاء لم يتم التصفيق “ وقلت كذلك : إن التقريب ليس بشئ صناعى ميكانىكى ، إنه عمل القلب قبل أن يكون عمل اللسان ، وإنه قضية الداخل قبل أن يكون قضية الخارج ، إنه لم تكتشف إلى الآن مادة غرائية تلصق بها القلوب كما تلصق الأوراق ، فيجب أن ينبع هذا من القلب ، ويفيض حتى تشعر القلوب بقوته وحرارته “ ولا بد لذلك من تفاهم وتنازل وتبادل فإذا تهيأت النفوس لذلك ، واستجابت له القلوب، كان فيضاناً من الحب والثقة ، لا يقف في طريقه شئ ، والحب يقهر كل

ما يقع في طريقه من عداة و بغض ، ويجرف .

٤- وهنا وقفة قصيرة وأخيرة عند ضرورة زيادة العناية بالقرآن الكريم ، إن إخواننا الإيرانيين لا شك يحبون القرآن ويجلوناه ، ويعتنون به اعتناء كبيراً قد تجلى في كتابة المصاحف بأجمل الخطوط والنقوش ، من أقدم العصور ، والاحتفاظ بهذه المصاحف في المكتبات والمتاحف ، والإقتنار بها بحق وجدارة ، وطبع المصحف الكريم طبعاً دقيقاً أنيقاً ، لا يقل عن بلد آخر ، وقد عني كثير من علماء إيران القدامى ، والمحدثين بتفسير القرآن وآثرت عنهم كتب جليلة اشتهر عدد منها في الهند وغيرها .

ولكنني أشعر بحاجة إلى عناية أكثر من هذه العناية وأعمق منها ، إنني أعني به التذوق للقرآن وللتضلع منه ، والاهتمام الزائد الذي يظهر في كثرة التلاوة وكثرة الحفظ المتقنين ، وإيثاره على كل شيء حتى يتغلب ذوق القرآن على كل ذوق ، وأن يكون هو سدرة المنتهى والأفق في العلم والأدب والعقيدة والعمل والمنهج والسلوك .

ولا شك أن إخواننا الفضلاء وقادة التفكير في إيران الحبيب يشعرون بهذه الحقائق أو بعضها ، ويشعرون بالضرورة الملحة إلى إبرازها وتقويتها ، إنه عمل تجديدي عملاق لا ينوء به إلا العمالق الذين يخاطرون بمركزهم العلمي والاحترام الذي يتمتعون به ويعرضون حياتهم لخطر ، ولكن السرور الذي يحصل بهذا النجاح لا يعدله سرور ، وإن إزالة الأنقاض التاريخية والركام الفكري والتقليدي ، الذي تراكم وتصلب ، ونفض الغبار الذي طرأ على جوهر الإسلام النقي ولجينه الصافي ، وإعادة الدين إلى ما كان عليه في عصر النبوة ، ليس بالخطب اليسير والعمل الهين ، إنه

أكبر جهاد وأعظم تجديد ، وليس دعوة القرآن مختصة بالأديان الأخرى ، والأمم غير الإسلامية ، بل هي موجهة إلى فرق الأمة الإسلامية وطوائفها إلى الأبد وتعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله.

وفي الأخير أؤكد لإخواننا الفضلاء أنه لم تصدر هذه للسطور إلا من إخلاص ، وحسن قصد ، وشعور بالأمانة ، وحرص على الوحدة الإسلامية ، ومعذرتي إذا وجدوا في هذه السطور فكرة لا يوافقون عليها أو تصويرا للواقع يرون فيه إفراطاً وتفريطاً ، أو تعبيراً لا يرتضونه ، فكل بشر يخطئ ويصيب ، والعصمة لله .

وأعود فأشكر إخواننا الإيرانيين حكومة وشعباً على الروح الطيبة الخفيفة ، التي قابلوا بها الوفد ، والخلق الإسلامي الكريم ، والضيافة الكريمة التي لقوه بها ، وأرجو أن تتبادل الشعوب الإسلامية والبلاد الإسلامية الوفد ، والبعثات ، والزيارات واللقاءات ، حتى يعرف بعضنا محاسن بعض ، ويزول سوء التفاهم وتتفتح القلوب وتتلقح الأفكار .

والله المؤفق للسداد وهو الهادي إلى سبيل الرشاد .

\*\*\*